

آثمون لا يرعون ولا ينظرون ولا يتقون... إلى أن قال: فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين، فإن علماءكم الأولين ومن صلح من المتأخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون⁽¹⁾.

وقال الفضيل بن عياض: إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة فإن الله تعالى لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة، وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وهم يهون عن أصحاب البدعة⁽²⁾.

وعن ابن مسعود قال: يأتي على الناس زمان تكون السنة فيه بدعة والبدعة فيه سنة والمعروف منكراً والمنكر معروفًا وذلك إذا تبعوا واقتدوا بالملوك والسلاطين في دنياهم⁽³⁾.

وعن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"⁽⁴⁾.

(1) تاريخ دمشق 6/362.

(2) حلية الأولياء 8/104.

(3) رواه ابن وضاح - البدع والنهي عنها - سنده معضل فقد رواه زهير بن عابد وبينه وبين ابن مسعود 206 سنة - وقال ابن عبد البر بعد حديث ذكره من رواه محمد بن وضاح عن زهير بن عباد عن بشر بن الحارث: هذا الحديث وإن كان ضعيف لضعف زهير بن عباد فإن فيه ما تسكن إليه النفس من جهة اشتهاه الحديث عند جماعة.

(4) رواه مسلم.



{ اقتران الإيمان بالعمل الصالح }

تكررت جملة: (الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) في القرآن (51) مرّةً. وهذه الجملة هي الصّيغة، وهي معظم ما اقترن به الإيمان مع العمل الصالح في صيغ الاقتران بينهما، والتي بلغت (69) مرّة⁽¹⁾.

وهذا الاقتران يدل على ارتباطهما الوثيق وتلازمهما المستمر، فلا إيمان بدون عمل صالح يعبر عنه ويبرهن عليه، ولا قيمة للعمل الصالح بدون إيمان يقوم عليه ويركن إليه، فالإيمان بدون عمل كالشجر بلا ظل ولا ثمر، والعمل الصالح بدون إيمان كالجسد بلا روح⁽²⁾.

المقصود بالعمل الصالح: ما أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو المشروع المسنون. ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللَّهُمَّ اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا⁽³⁾.

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: العمل الصالح: هو العمل الذي يصلح عامله في دينه ودينه صلاحًا لا يشوبه فساد، وذلك العمل الجاري على وفق ما جاء به الدين⁽⁴⁾.

والعمل الصالح واسع الدائرة إلى حدّ يشمل كل شيء في الحياة تباشره باسم الله، ولقد عدّ الإسلام أعمالًا كثيرةً صالحةً لم تكن تخطر ببال الناس أن يجعلها عملاً صالحًا وقربةً إلى الله تعالى، فجعل كل عمل يمسح به الإنسان دمة محزون، أو يخفف به كربة مكروب، أو يشد به أزر مظلوم،

(1) انظر: المعجم المفهرس، عبد الله جلغوم 1/ 182-187.

(2) يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر، الشرقاوي ص 36.

(3) مجموع الفتاوى 1/ 194.

(4) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص 3818.

أو يقيلُ بهِ عثرةً مغلوبٍ، أو يقضي بهِ دينَ غارِمٍ مثقلٍ، أو يهدي حائرًا أو يعلمَ جاهلاً، أو يدفعَ شرًّا عن مخلوقٍ، أو أذى عن طريقٍ، أو يسوقَ نفعًا إلى كلِّ ذي كبدٍ رطبةٍ... جعلَ كلِّ ذلكَ عملاً صالحًا ما دامتِ النيَّةُ فيه خالصةً لوجهِ اللهِ الكريمِ .

وممَّا يُستنبطُ من اقترانِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ:

- أن الإيمانَ علمٌ وأُسُّ والعملُ بناءٌ، ولَا غناءَ للأُسِّ ما لم يكنْ بناءً، كما لَا بناءَ ما لم يكنْ له أُسٌّ، فإذا حَقَّهما أن يتلازما لَذَا قرنَ بينهما.
- أن الغالبَ في اقترانِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، الحديثُ بصيغةِ الجمعِ (الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهذه الصِّيَاغَةُ جاءتْ جمعًا في المتحدِّثِ عنهم وعن أعمالهم، فهم جماعةٌ تبنُّوا تصوُّراً واحداً، وأسَّسوا على هذا التصوُّرِ أعمالاً صالحاتٍ في جميعِ مناحي الحياة، يصحُّ أن تقومَ عليها نهضةٌ حضاريَّةٌ، يقودُ بها أهلُ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ الأُمَّةَ إلى الخيرِ والصَّلاحِ، وكيفَ لَا وهؤلاءِ الذينَ جمعوا بينَ الإثنينِ، الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، فانجرَّ عن ذلكَ أنْ جُمعتْ فيهمُ كلُّ المواصفاتِ الحميدةِ، فهمُ أهلُ الصبرِ وأهلُ التَّقوى، وهمُ أهلُ الأخلاقِ والحِياءِ وهمُ أهلُ العلمِ والحكمةِ، وهمُ أهلُ الاجتهادِ والبناءِ والتقدُّمِ وسيرُ السَّلفِ خيرٌ دليلٌ على ذلكِ.
- كما ترتَّبَ على الإيمانِ والعملِ الصَّلاحِ الفلاحُ في الدُّنيا والآخرةِ، كما قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} [القصص: 67]، أي: النَّاجِحِينَ بالمطلوبِ، النَّاجِينَ مِنَ المرهوبِ⁽²⁾، الفائزينَ بمطالبهم من سعادةِ الدَّارينِ⁽³⁾.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٦٢٢.

(3) فتح القدير، الشوكاني ٤ / ٢١١.

وعليه فإنَّ كلاً من الإيمان والعمل الصالح مكملان لبعضهما، لكن الإيمان مقدّم على العمل الصالح، هذا لأن الإيمان من أعمال القلوب، والعمل من أعمال الجوارح، فمع أهمية ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، والعمل الصالح بالإيمان إلا أن الأول مقدّم على الثاني، فالإيمان مقدّم على العمل الصالح لأنَّ عمل القلب مقدّم على عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب وإن اختلفت مرتبتا الطلب. فقد تكون صورة العمليين واحدة، ويكون ما بينهما في الدرجة والفضل ما بين السماء والأرض؛ وذلك لتفاضل ما في القلوب.

ونفس الأمر ينطبق على معاصي القلوب ومعاصي الجوارح، فمعاصي القلوب من كبر وغرور، وإعجاب بالنفس، ورياء، ونفاق، وحسد، والفرح بمصائب المسلمين، واستعظام النفس، واحتقار الآخرين وازدراؤهم... فهي أشد وأشد في العقاب من معاصي الجوارح كالكذب، والسرقة، والغيبة والنميمة وغيرها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: مَنْ تَأَمَّلَ الشَّرِيعَةَ فِي مَقَاصِدِهَا وَمَوَارِدِهَا عَلِمَ ارْتِبَاطَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ بِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ بِدُونِهَا، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ أَفْرَضَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهَلْ يَمَيِّزُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ إِلَّا بِمَا فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا؟

وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان⁽¹⁾.

(1) بدائع الفوائد لابن القيم: 287/4.



العمل الصالح شرط الإيمان:

والذي يظهر لي في آخر هذا البحث؛ أنّ علاقة الإيمان بالعمل الصالح، علاقة الأصل وشرطه، فالإيمان أصل وشرطه العمل الصالح، فلا تصح صلاة بلا وضوء، كذلك لا يصح إيمان بلا عمل صالح، من ذلك قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي} [آل عمران: 31].

فالحب من أعمال القلوب ولا يكون الحب إلا بإيمان خالص، ولكن حبهم هذا لم يكن مقترنا بعمل، فاشتراط عليهم سبحانه العمل وهو اتباع الرسول ﷺ والعمل بما أمر به، لا الاقتصار على ما في القلب، فإن كان الأمر كذلك فلا يكون هذا إلا استهتارا أو نفاقا، بل وجب العمل مع الإيمان الذي في القلب كي يتحقق.

وكذلك لا يصح عمل صالح بلا إيمان بل لا يُنظر إليه، فعن أمّنا عائشة رضي الله عنها قال: يا رسول الله إنَّ عبدَ الله بنَ جُدعانَ كان في الجاهلية يقرّي الضيفَ ويفكُّ العانيَ ويصلُّ الرِّحْمَ ويُحسِنُ الجِوارَ وأثْنَيْتُ عليه فهل ينفعُهُ ذلك؟ فقال رسولُ الله ﷺ: لا إنه لم يقل يوماً قطُّ ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدين⁽¹⁾.

(1) أخرجه أحمد (24892)، وأبو يعلى (4672)، وابن حبان (330) باختلاف يسير.

والعمل الصالح على قسمين:

- عمل القلب.

- وعمل الجوارح.

فأمَّا العمل الصالح بالنسبة للقلب، فهو: الإيمان الخالص من شوائب الشرك والبدعة، وسائر أمراض القلوب، أو يكون صاحب القلب مجاهدا لها كارها لوجودها، فهذا من أعمال القلوب، التي هي شرط الإيمان.

وأما أعمال الجوارح فهي بدورها على قسمين أيضا:

- أعمال اللسان.

- وأعمال سائر البدن.

فيصدق المؤمن بقلبه تصديقا جازما خالٍ من شوائب الشرك والشرك، وينطق بذلك بلسان معلنا عبوديته لله وحده لا شريك له، ويعمل بسائر جسده في ما أمر به من سائر التكاليف.



الإيمان يزيد بالعمل الصالح:

ومن أسباب ارتباط العمل الصالح بالإيمان، أنه به يزيد الإيمان، وبتركه ينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وقال ابن سعدي في شجرة الإيمان وفي كلامه إشارة أن الأعمال الصالحة تزيد الإيمان:

الإيمان يشمل عقائد الدين، وأخلاقه، وأعماله الظاهرة والباطنة. ويترتب على ذلك أنه يزيد بزيادة هذه الأوصاف والتحقق بها، وينقص بنقصها، وأن الناس في الإيمان درجات متفاوتة بحسب تفاوت هذه الأوصاف؛ ولهذا كانوا ثلاث درجات:

– سابقون مقربون، وهم: الذين قاموا بالواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات.

– ومقتصدون، وهم: الذين قاموا بالواجبات، وتركوا المحرمات.

– وظالمون لأنفسهم، وهم: الذين تركوا بعض واجبات الإيمان، وفعلوا بعض

المحرمات، كما ذكرهم الله بقوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر:32].

وقد يعطف الله على الإيمان، الأعمال الصالحة، أو التقوى، أو الصبر؛ للحاجة إلى

ذكر المعطوف؛ لئلا يظن الظان أن الإيمان يكتفى فيه بما في القلب، فكم في

القرآن من قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، ثم يذكر خبراً عنهم.

والأعمال الصالحات من الإيمان، ومن لوازم الإيمان، وهي التي يتحقق بها الإيمان، فمن ادعى أنه مؤمن - وهو لم يعمل بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ من الواجبات، ومن ترك المحرمات -، فليس بصادق في إيمانه. كما يقرب بين الإيمان والتقوى، في مثل قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: 62-63].

فذكر الإيمان الشامل لما في القلوب من العقائد، والإرادات الطيبة، والأعمال الصالحة. ولا يتم للمؤمن ذلك حتى يتقي ما يسخط الله من الكفر، والفسوق، والعصيان. اهـ.

وعليه فإنَّ السبب الرئيسي في زيادة ترسيخ الإيمان هو العمل الصالح.

فلو تلاحظ أننا بهذا عدنا إلى مربط الفرس وهو أصل الإيمان الذي هو:

تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

إذا فإن الإيمان إذا أطلق، دخلت فيه الأعمال؛ لقول النبي ﷺ: "الإيمان بضع وستون شعبةً - أو بضع وسبعون شعبةً - أعلاها قول: لا إله إلا الله، (وهذا قول وليس محلُّه القلب) وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، (وهذا عمل بالجوارح) والحياء شعبة من الإيمان" (1).

وعلى هذا فالإيمان أصل، والعمل شرط، ولا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان.

(1) أخرجه مسلم (35).

المحتويات

7	مقدمة
9	الإيمان والعمل الصالح
11	الإيمان لغة
12	الإيمان اصطلاحاً
13	أدلة زيادة الإيمان ونقصانه في القرآن
13	أدلة أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل
14	دليل وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره
15	أركان الإيمان: الإيمان بالله تعالى
15	الأول: الإيمان بوجود الله تعالى
15	ثانياً: الإيمان بربوبيته تعالى
15	الربُّ لغة
15	الربُّ شرعاً
16	الثالث: الإيمان بألوهيته
16	الألوهية لغة
16	لألوهية اصطلاحاً
17	العبادة لغة
17	العبادة اصطلاحاً



- 18 الشُّرْكُ - دعاءُ الاستغاثَةِ
- 18 الاستِغَاثَةُ لُغَةً
- 18 الاستِغَاثَةُ اصطلاحًا
- 18 شرطُ الاستِغَاثَةِ بالمخلوقِ
- 19 التَّوَسُّلُ لُغَةً - التَّوَسُّلُ اصطلاحًا
- 19 التَّوَسُّلُ المشروعُ - التَّوَسُّلُ الممنوعُ
- 19 شرطُ التَّوَسُّلِ الجائزِ
- 20 الرَّابِعُ: الإِيْمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
- 24 الإِيْمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَهُ
- 27 الإِيْمَانُ بِكِتَابِهِ سُبْحَانَهُ
- 29 الإِيْمَانُ بِرَسُولِهِ سُبْحَانَهُ
- 31 الشَّرِيعَةُ لُغَةً:
- 32 الشَّرِيعَةُ اصطلاحًا:
- 33 عِلَاقَةُ الشَّرْعِ بِالذِّينِ - الذِّينُ لُغَةً
- 34 الذِّينُ اصطلاحًا - الإِسْلَامُ لُغَةً - الإِسْلَامُ شرعًا
- 34 الإِسْلَامُ الكونِي
- 35 الإِسْلَامُ الشرعي
- 38 الإِيْمَانُ باليَوْمِ الآخِرِ



- 45 الإيمان بالقدرِ خيرِه وشرِّه
- 45 دليلُ وجوبِ الإيمانِ بالقدرِ
- 46 مراتبُ القدرِ أربعةٌ لا يتحقَّقُ إيمانُ العبدِ بالقدرِ إلاَّ بها
- 48 العملِ الصالحِ
- 49 العملِ الصَّالحِ في اللُّغة - العملِ الصَّالحِ اصطلاحًا
- 49 شروطُ قبولِ العملِ الصالحِ
- 51 الإخلاصُ في اللُّغة - الإخلاصُ في الاصطلاحِ
- 56 اقترانُ الإيمانِ بالعملِ الصالحِ
- 57 ممَّا يُستنبطُ من اقترانِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ
- 59 العملِ الصالحِ شرطِ الإيمانِ
- 60 العملِ الصالحِ على قسمينِ
- 61 الإيمانِ يزيدُ بالعملِ الصالحِ
- 63 المحتويات

تمَّ البحثُ والحمدُ لله الذي بنعمته تتمَّ الصالحات

